الدولة المرابطية في المغرب (٤٤٨-٥٤١هـ /١٠٥٦-١١٤٧م) :

في اوائل القرن الخامس الهجري كانت الرياسة بين القبائل الصنهاجية لقبيلة جدالة وكان يتزعمها ابراهيم بن ترغوت وخلفه في الرياسة ابنه عمر ثم حفيده يحيى الذي خرج سنة ٤٢٧هـ للحج فلقي في طريقه عند العودة الفقيه ابو عمران الفاسي وكان من اكبرفقهاء المالكية في القيروان في عصره فاستمع الى دروسه وتاقت نفسه الى ان يرى في بلاده فقيهاً مثله يلقي دروسه في منازل قبيلته ويعلمهم الكتاب والسنة ويفقههم في الدين ، فضلاً عن رغبته في ان يتمكن من انقاذ صنهاجة من استبداد الزناتيين .

تحدث يحيى بن عمر الى ابي عمران الفاسي في ارسال احد تلاميذه معه ولكن احداً من اولئك التلاميذ لم يستجب للدعوة لبعد المسافة وخطورة المغامرة فكتب ابوعمران له كتاباً الى احد تلاميذه من الفقهاء العاملين في سجلماسة واسمه وجاج بن زلو اللمطي وكان وجاج فقيهاً ذا مكانة كبيرة ولكنه لم يشأ القيام بهذه المهمة نظراً لعلمه بصعوبة قيادة الجداليين ، فندب لذلك تلميذاً شاباً من تلاميذه يسمى عبدالله بن ياسين الجزولي .

عبد الله بن ياسين

كان عبد الله بن ياسين– الزعيم الأول للمرابطين، وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم، (ت٤٥١هـ=١٠٥٩م)– من فقهاء المالكية.

نهض عبدالله بن ياسين لأداء مهمته وتوجه الى منازل قبيلة جدالة وبدأ يعمل وكان نشطاً متحمساً واسع الطموح فلم يقتصر على تعليم الجداليين شعائر الدين بل اراد ان يهذب اخلاقهم ويخرجهم عن حياة الخشونة والبدائية التي كانوا يعيشون فيها ووضع لهم نظاماً للآداب العامة واخذهم بالشدة وكان الجداليون كثيرين وكانوا اهل فوضى وجفوة وقلة نظام فلم يلبثوا ان ثاروا على عبدالله بن ياسين واخرجوه من بلادهم لأنهم لم يتحملوا عنفه وشدته .

لجأ عبدالله بن ياسين الى شيخه وجاج بن زلو فطلب الى يحيى بن عمر عقابهم على ما فعلوه فقام بذلك وجعلهم يطلبون عودة عبدالله بن ياسين اليهم ولكنه رفض فنصحه وجاج بان يذهب الى منازل قبيلة لمتونه لأن المستقبل لها بحكم موقعها الجغرافي المتحكم في الطريق الشمالي المؤدي الى المغرب

وبحكم شجاعتها وشدة مراسها في القتال ولأنها كانت اكثر قبائل صنهاجة انقياداً له واشدها طاعة لله تعالى وكانوا اميل الى النظام والتماسك والعمل الجاد .

بعد ان تاكد عبدالله بن ياسين من انه كوَن جماعة من المخلصين خرج بهم الى جزيرة في المحيط لكي يفرغوا الى العبادة وهناك انشأ رباطاً لم يلبث ان اتسع وكثر الناس فيه فلما رأى عبدالله بن ياسين وفرة اعدادهم وحماسهم قال لهم (اخرجوا فأنتم المرابطون) ، وعندما اكتمل عدد هؤلاء الرجال الفاً امرهم بالخروج الى البر والسير للجهاد وكان ذلك سنة ٤٤٥هـ .

عبر عبدالله بن ياسين على راس رجاله الصحراء متجهاً الى الشمال فاستطاع ان يستخلص سجلماسة من يد المغراويين ثم سار الى الشمال ونزل سهل مراكش وكان ذلك سنة ٤٥٠هـ .

بعد ذلك ارتد عبدالله بن ياسين الى الجنوب فعبر الصحراء وهاجم اهل السودان الغربي واستقر عليهم وبذلك فتح امام صنهاجة ابواب التوسع شمالاً وجنوباً ، وفي تلك الحروب قتل عبدالله بن ياسين سنة ٤٥١هـ .

بعد مقتل عبدالله بن ياسين كان سلطان ابو بكر بن عمر وقبيلته لمتونه قد استقر وطاعت له كل قبائل لمتونه أي ان عبدالله بن ياسين اتم مهمته قبل وفاته ، وقد سار ابو بكر بالحركة في طريقها وكان يستعين في عمله بالظاهرين من قرابته واهل بيته لاسيما ابن عمه يوسف بن تاشفين وكان اذ ذاك شاباً واسع الطموح .

بينما كان ابو بكر بن عمر يرقب العمل في بناء مدينته الجديدة بلغه ان قبيلة جدالة وثبت بقبيلة لمتونه في الصحراء وانزلت بها مذبحة ، فقر ر العودة مسرعاً الى منازل صنهاجة في الصحراء لإنجاد لمتونه وقبل رحيله جمع رووٴساء قومه وطلب منهم ان يختاروا من بينهم رئيساً لهم يقوم بامرهم في غيابه فاختاروا ابن عمه يوسف بن تاشفين وترك ابو بكر ثلث القوة المرابطية مع يوسف بن تاشفين وكان ذلك سنة ٤٦٣هـ.

يعد يوسف بن تاشفين من اعاظم الرجال الذين انجبهم المغرب الإسلامي وكان له ابعد الأثر في توجيه تاريخه ، وقام بدور اساسي في انشاء المغرب الأقصى واعطاءه حدوده الطبيعية ، فهو الذي وحَد نواحيه من الصحراء الكبرى الى ساحل البحر المتوسط ، ومد حدوده من ساحل المحيط الى شرق نهر

المولوية ، وضم اليه اقليم تلمسان والجزء الغربي من المغرب الأوسط حتى مدينة الجزائر ، وكان من ابرز اعماله بناءه لمدينة مراكش سنة ٤٥٤هـ .

اتخذ لقب امير المسلمين ، وكان قبل ذلك قد دخل في طاعة الخليفة العباسي ويستظل برايته ، كما جعل من سجلماسة قاعدة جنوبية لدولته ، ثم دخل مدينة فاس واصلح من شانها واكثر من انشاء المساجد فيها ، كما افلح في التغلب على مقاومة كل القبائل التي كانت قد انفردت بنواحيها ، وواصلت قواته سيرها شرقاً ودخلت مدينة الجزائر وهي اقصى ما وصل اليه شرقاً ، ثم تجرد بعدها للإستيلاء على سبتة وطنجة في الغرب وكان ذلك سنة ٤٧١هـ.

وفي سنة ٤٧٥هـ وصل يوسف بن تاشفين ذروة قوته في المغرب وذاع صيته ، ولهذا كان الإستنجاد به من قبل الأندلسيين لنصرة الإسلام لمواجهة القشتاليين الذين اخذوا يستولون على البلاد الأندلسية وعدم قدرة ملوك الطوائف من مواجهتها ' وقد حقق المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين انتصارات عدة في الأندلس واستعادوا عدداً من المدن الأندلسية .

توفي يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠هـ وبوفاته اختفت شخصية من أجل الشخصيات في تاريخ الإسلام ، اذ كانت له مآثره واعماله وانجازاته التي غيرت من وجه التاريخ الإسلامي في المغرب العربي .

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين تولى بعده ابنه على بن يوسف حتى عام (٥٣٧هـ). وبعد فترة غير قليلة من انتهاء حكم على بن يوسف بدأ الضعف يدب في أوصال دولة المرابطين، إذ بدأ يتوالى على الحكم أمراء ضعاف النفوس، لم يستطيعوا الحفاظ على دولة المرابطين في وجه حملة دولة الموحدين في إفريقية وثوار الأندلس، فما أن وافت سنة (٥٤٠هـ) حتى انتهى ملك المرابطين وتم خضوع الأندلس وشمالى إفريقيا لدولة الموحدين ويرجع سبب اضمحلال قوة المرابطين الى عوامل عدة اهمها:

١- بدأت هذه الدولة تدخل في طور الأفول في عهد يوسف بسبب انصرافه عن شؤون الحكم إلى الزهد السلبي، ووقع تحت تأثير بعض الفقهاء ممن لا يحسنون السياسة.

٢- انصرف فقهاء دولته في عهده وعهد من خلفوه إلى تكفير الناس بحجج واهية، واتجهوا إلى جمع الثروات، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- لم يعد لهم جيش يعوّل عليه في صد هجمات الغزاة، بل استسلم أفراده إلى ملذاتهم، وبلغ فسادهم حد قطع الطريق على المسافرين.

٤- قامت ضدهم الثورات في الأندلس أدت إلى طردهم منها، وعادت الأندلس إلى ما كانت عليه من فوضى. وقامت ضدهم ثورة في إفريقيا فاختلت أحوالهم.

٥- قضت دولة الموحِّدين على البقية الباقية من دولتهم حيث تعرض المرابطون إلى هزائم متعددة على كما ضعفت قوة الدولة في المركز حيث كانت الفتن و القلائل والثورات وذلك الأندلس في الإسبان أيدي و فساد الطبقة الحاكمة. وتمثل أهم الأخطار الداخلية على المرابطين بداية الدعوة المكوس للزيادة في وتسببت في انهيار الدولة المرابطية م١٠٣٠ و التي ابتدأت في العام المهدي بن تومرت الموحدية بقيادة .م١١٤٧ عاصمة المرابطين سنة مراكش ودخول المهدي بن تومرت لمدينة .

اما عن طبيعة علاقة المرابطين بالخلافة العباسية ، فقد عرفت بكونها كانت علاقة وطيدة وحسنة ، فلم يتلقب يوسف بن تاشفين بالقاب الخلافة كما رفض التلقب بلقب امير المؤمنين لأنه لقب خلافي وعندما سئل عن ذلك قال: (حاشا لله ان نتسما بهذا الإسم ، انما تسمى به خلفاء بني العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة ولأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة ، وانا راجلهم والقائم بدعوتهم) ، فهو اعتراف واضح بتبعيتهم للعباسيين لذلك استخدم المرابطون السواد شعار العباسيين في ملابسهم واعلامهم، وكان ابن تاشفين يدعو لبني العباس على المنابر وهو اول من تلقب بأمير المسلمين وناصر الدين ، وكتب الى الخليفة العباسي المقتدي بالله يطلب منه الخلع والأعلام السود والتقليد فأرسل له الخليفة ما اراد كما نقشوا اسمهم على السكة سنة ٤٥٠هـ الى جانب اسم الخليفة العباسي .

آثار المرابطين :

عكستِ الآثارُ التي تركها المرابطون الأساسَ الحضاريّ للدولة التي مثّلت الإسلامَ في المغرب العربي لمدّة تناهزُ المائة عام، ومن أهم تلك الآثار ما يلي:

بناء مدينة مراكش :

فهم الذين أسسوا مدينة مراكش وقاموا بتزويدها بمنطقة فاخرة (قصر الحجر ويقع في المكان المخصص لكتبية الموحدين)، وبجامع كبير يحمل اسم الملك المرابط الثاني علي بن يوسف (١١٠٦-١١٤٣) كما قاموا بتزويدها بالمياه بفضل شبكة كبيرة من البنى التحتية (الخطارات) اللازمة لري مختلف الحدائق الحضرية. فيما بعد، تمت حماية مراكش من ثورات الموحدين من خلال بناء سور كبير حول المدينة.

جامع القرويين:

أما الإنجاز الثاني الذي قام المرابطون بتحقيقه فهو يخص مدينة فاس التي انقسمت منذ تأسيسها على يد الأدارسة، إلى مركزين كان كل منها مستقلاً عن الآخر. فقام المرابطون بتوحيد المدينة وبناء سور جديد وتوسيع جامع القرويين. وهو أحدُ أهمّ، وأشهر الجوامع في المغرب العربيّ، لكونه جامعةً إسلاميةً تعادلُ الأزهر الشريف في تخريج العلماء، والفقهاء، والدعاة، ويشتهر جامع القرويين بمنبره الذي يُعدُّ من أجمل المنابر على الإطلاق.

المسجد الجامع بتلمسان:

تظهر في هذا المسجد التأثيراتُ الفنية، والمعمارية الأندلسية، وقد بُني في عهد علي بن يوسف، وكان أحدَ مقرّات نشر الإسلام، وتعليم المسلمين العلوم الشرعية في المغرب العربي. الآثار العسكرية: قامت دولة المرابطين على الدعوة لدين الله، والجهاد في سبيله، لذا نلحظُ اهتمامهم ببناء القلاع والحصون في المدن والثغور، ومن أروع ما بُني في عهد المرابطين أسوارُ مدينة مراكش، وقلعة تاسغيموت جنوب شرق مراكش، وفي الأندلس بنوا قلعةَ منتقوط المشرفةَ على مدينة مرسيّة.

المصادر والمراجع :

– ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون

– السلاوي : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

– د. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس

- **السامرائي: خليل ابراهيم، وآخرون، تاريخ المغرب العربي**
- **راغب السرجاني : دولة المرابطين**
- **العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**